

الدعوة للطاعة

"... فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ،،،" (يوحنا ١٦: ١٣)

هذه في الواقع عبارة غير معقولة إن لم تنطبق على اللاهوت، وعلى اللاهوت وحده. ومع أخذ ذلك في الاعتبار، فإنه إعلان مبشر لأولاده الأحباء، يأتي إلينا من العشاء الأخير حينما ألقى يسوع على تلاميذه كلمته الوداعية.

يشغل هذا الخطاب الرائع للتلاميذ الأصحاحات من الرابع عشر إلى السابع عشر من إنجيل يوحنا. إنه أطول الرسائل التي أعطاها يسوع على الإطلاق، وأغناها وأشملها وأهمها. في الحقيقة، إن كانت هي كل ما لديك بعد دخولك إلى الإيمان، فإنها تحتوي على كل ما تحتاج إلى معرفته لتعليمك كيفية السلوك مع الله بكل تواضع. ففي إنجيل يوحنا نتعلم:

١- الروح القدس يحل مكان وجود يسوع عند رحيله عن الأرض (يوحنا ١٤: ١٦).

٢- هذا الروح الذي كان دائماً مع شعب الله سيأتي الآن ليحل في شعب الله. يحدث ذلك عندما ندخل إلى الإيمان ونولد ثانية (يوحنا ١٤: ١٣).

٣- من خلال ذلك الروح سنكون قادرين على القيام بأعمال أكبر مما لو كان يسوع قد بقي معنا في الجسد (يوحنا ١٤: ١٢، ١٣).

٤- سيكون لدينا المزيد من القدرة على الصلاة أكثر من أي وقت مضى (يوحنا ١٤: ١٤).

٥- الشرط البسيط لكي يقيم الروح القدس في داخلنا هو الطاعة الكاملة لله. فالطاعة هي الدليل القوي الوحيد على حبنا لله (يوحنا ١٤: ٢٣).

٦- تأتي النهضة والانتعاش عندما يصبح شعب الله واحداً (يوحنا ١٧: ٢١). ونتعلم في الآخر:

٧- الروح القدس قاد شعبه دائماً إلى كل الحق، وسيستمر في القيام بذلك في عصور المستقبل في الكنيسة.

سأشرح لكم اليوم هذا الموضوع. ففي كلمته الوداعية يشرح يسوع أنه لم يكن في قصد السماء على الإطلاق أن يحل الكتاب المقدس محل الروح القدس كمصدر رئيس لتوجيه شعبه وتعليمهم وتغييرهم. بعبارة أخرى، فإن الكتاب المقدس، الذي لم يكن متاحاً بسهولة حتى القرن الخامس عشر، كان دائماً أساساً للإيمان المسيحي، ولكنه لم يكن بذاته بدون أن يدخلنا الروح القدس لأن ندرك في حياتنا مع الله ما هو العَرَضُ وَالطُّولُ وَالْعُمُقُ وَالْعُلُوُّ (أفسس ٣: ١٨). من الواضح أنه لا يوجد في العالم ورق يكفي لطباعة كل الحق الذي يحفظه الله لكل واحد منا. لذلك، مرة أخرى، بالإشارة إلى مسيرتنا مع الله، لا بد أن ننظر إلى الكتاب المقدس دائماً على أنه يحتوي على تعليمات أساسية ولكن ليس أكثر من ذلك بكثير.

والواضح في الكتاب المقدس كله إن الإنسان يمكنه أن يعيش، بل وقد عاش بصوت الله من خلال روح الله منذ بداية الزمن بدون الكتاب المقدس. فمثلاً، لم يكن هناك في أول ألفين وخمسمائة سنة للإنسان، أي قصاصة من العهد القديم. ثم على مدى الألف وخمسمائة سنة التالية وحتى عيد الخمسين، كان عدد قليل جداً من الناس لديهم العهد القديم بأكمله. وكان هناك ألف وخمسمائة سنة أخرى خلال العصر المسيحي قبل أن يحصل الرجل العادي على كل من العهدين القديم والجديد بلغته الخاصة ما لم يكن قادراً على القراءة بالآرامية أو العبرية أو اليونانية أو اللاتينية. وهذا يشكل خمسة آلاف وخمسمائة سنة من تاريخ البشر يسرون خلالها مع الله بدون الكتاب المقدس. مرة أخرى، يقودنا هذا إلى حقيقة مذهلة إنه يمكننا أن نتعلم أن نعيش في صلاح بدون الكتاب المقدس، لكن لا يمكننا أن نفعل ذلك بدون الروح القدس. لذلك قال يسوع: "خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتَّبَعْنِي" (يوحنا ١٠: ٢٧). هذا يعني أنه لا يمكن أن نتبعه بدون سماع صوته بالروح القدس في الإنسان الداخلي. كما يؤكد بولس هذا بقوله: "لَأنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللَّهِ، فَأُولَئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ" (رومية ٨: ١٤). الدليل على أن الإنسان مسيحي حقيقة، هو إن روح الله يقوده أو على الأقل إن الإنسان يسعى إلى الانقياد بهذه الطريقة.

الآن ، لأن الكتاب المقدس في الأصل أساسي فقط ، اسمحوا لي أن أقدم لكم البراهين التالية:

(١) أولاً، نتأمل في الشهادة مثلما يقول لنا الكتاب المقدس أن نشهد. هذا تعليم أساسي لكن الكتاب المقدس لا يخبرني متى ينبغي أن أشهد، وماذا أقول عندما أشهد، ولمن أشهد، ولمن لا أشهد بسبب عدم استعداد قلبه بعد. لكن الروح القدس يستطيع فعل كل ذلك. ليس غير الروح القدس يمكنه أن يقودنا إلى كل الحق.

(٢) يقول لنا الكتاب المقدس: "لَا تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ" (كورنثوس الثانية: ٦: ١٤). هذا تعليم أساسي، لكن الكتاب المقدس لا يخبرني من التي أتزوجها من بين آلاف الفتيات المسيحيات. إلا إن الروح القدس يمكنه أن يفعل ذلك، بل ويريد أن يفعل ذلك، وسيفعل ذلك إذا سمحنا له بذلك. ليس سواه يمكنه أن يقودنا إلى كل الحق.

(٣) يقول لنا الكتاب المقدس أن نذهب إلى اجتماع الصلاة وأن نذهب إلى الكنيسة "غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا" (عبرانيين ١٠: ٢٥). هذا تعليم أساسي، لكنه لا يقول لنا إلى أي كنيسة نذهب، أو ما اجتماع الصلاة الذي ينبغي أن نحضره وكم مرة. ليس غير الروح القدس يمكنه أن يفعل ذلك وهو يريد أن يفعل ذلك إذا سمحنا له. وليس غيره يمكن أن يقودنا إلى كل الحق.

(٤) يقول لنا الكتاب المقدس إن علينا أن نبحث عن إرادة الله كل يوم. هذا تعليم أساسي، لكن الروح القدس وحده فقط هو من يستطيع أن يخبرنا على وجه التحديد ماذا نفعل خلال الساعات الأولى والثانية والثالثة من كل صباح. يمكن للروح القدس أن يقودنا إلى كل الحق، وهو يريد أن يفعل ذلك.

هل أوصل في هذا الأمر؟ أعتقد أنك تلقيت الرسالة. في صلاة يسوع الوداعية أكد أهمية الروح القدس في تعليمنا وإرشادنا إلى كل الحق، وعلينا أن نعرف أن الروح القدس قد فعل ذلك دائماً لشعبه.

فلنطالع التاريخ، على سبيل المثال، ونتأمل في هذه العينات الجميلة من الرجال الذين ساروا مع الله بدون الكتاب المقدس. لقد عاشوا بصوت الله، بإرشاد الروح القدس لهم، وهو يريد أيضاً أن يرشدنا.

سار أخنوخ مع الله وأخذه الله. لقد علمه الروح وأرشده الروح ليعمل الصواب ويتكلم بالحق، ويتواجد في المكان المناسب في الوقت المناسب كل يوم. وظل يفعل ذلك لمدة ثلاثمائة سنة ثم أخذه الله. مرة أخرى، لم يكن لديه كتاب مقدس.

سمع إبراهيم صوت الله يعطيه تعليمات محددة حول إلى أين يذهب وماذا يفعل وماذا يقول. لقد عاش بغير كتاب مقدس يعطيه تعليمات، بل وحتى قبل تدوين أي سفر من العهد القديم.

موسى، بدون أن يقرأ كلمة الله، تحول من حاكم فخور مغرور في مصر إلى أكثر الناس تواضعًا على وجه الأرض. وبعمل الروح القدس أصبح موسى إنسانًا يمكن لله أن يفعل به أي شيء يريد أن يفعله. فما الذي يفعله الرب بك يا صديقي، عندما تتبع الروح القدس؟

صموئيل قاده الروح القدس بدقة بالغة أتاحت لصموئيل أن يقول لشاول الملك: "وَتَعْدُو مِنْ هُنَاكَ ذَاهِبًا حَتَّى تَأْتِيَ إِلَى بَلُوطَةَ تَابُورَ، فَيُصَادِفُكَ هُنَاكَ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ صَاعِدُونَ إِلَى اللَّهِ إِلَى بَيْتِ إِيْل، وَاحِدٌ حَامِلٌ ثَلَاثَةَ جِدَاءٍ، وَوَاحِدٌ حَامِلٌ ثَلَاثَةَ أَرْغَفَةٍ خُبْزٍ، وَوَاحِدٌ حَامِلٌ زِقَّ خَمْرٍ. فَيَسْلُمُونَ عَلَيْكَ وَيُعْطُونَكَ رَغِيفِي خُبْزٍ، فَتَأْخُذُ مِنْ يَدِهِمْ" (صموئيل الأول ١٠: ٣، ٤).

والآن، السبب الأساسي في عدم توفر أسفار العهد الجديد لدى المسيحيين في أول ألف وخمسمائة سنة من المسيحية هو عدم وجود مطبعة حتى أيام مارتن لوثر. قبل ذلك، كانت الكتابات تُنسخ باليد، وكان ذلك مكلفًا. كما كان على الناس أن يكونوا قادرين على القراءة بالآرامية أو العبرية أو اليونانية أو اللاتينية. وفي بعض الأحيان كانت هذه الكتابات تضيع لأجيال (انظر نحميا وقصص يوشيا). ولكن في كل تلك السنوات، كان الروح القدس دائمًا يعلم شعب الله ويتكلم من خلالهم. الروح القدس لم يضع على الإطلاق. أمر رائع رائع رائع!

تأمل الآن أعجوبة عيد الخمسين. كان الناس هناك من أكثر من ١٧ أمة، وقد وُلدوا من الله واعتمدوا من الروح. تخيل أنهم عادوا إلى بلدانهم كمؤمنين جدد بدون قصاصة واحدة من الكتابات المسيحية. لم تُكتب أول رسالة إلا بعد إحدى وعشرين سنة من يوم الخمسين. كما لم يُكتب أول إنجيل (إنجيل مرقس) إلا بعد

يوم الخمسين بإحدى وثلاثين سنة. ولم يُكتب إنجيل يوحنا حتى عام ٨٥ م. لكن بدون العهد الجديد بشر المسيحيون الأوائل حوض البحر الأبيض المتوسط بأكمله بحلول نهاية القرن الأول. مرة أخرى، لم يكن الكتاب المقدس متاحًا للإنسان العادي حتى عصر الإصلاح. لا يزال الكثيرون لا يملكون الكتاب المقدس بلغتهم الخاصة اليوم، لكنهم قادرين على السير مع الله كما فعل آخرون في القديم لأن لديهم الروح القدس.

إن التصور الشائع بأنه كلما قرأنا الكتاب المقدس أصبحنا أكثر روحانية ليس صحيحًا بالضرورة. فقد قرأ الفريسيون الكتب المقدسة وعرفوها جيدًا، لكنها جعلتهم أكثر تشبهًا بالشیطان وليس بالله، إلى درجة أنهم قتلوا ابن الله أخيرًا. ثم قتلوا استفانوس ويعقوب الرسول وهكذا. كلمة الله المقدسة نسمة من الروح القدس كتبها هو، ولا يمكن فهمها إلا بالروح القدس الذي يعلمنا. فبدون الروح القدس، يجعلنا الكتاب المقدس لا نسمع، ونصبح أكثر انقسامًا. إذا قرأ شخص جسدي الكتاب المقدس بدون الروح القدس، يمكن أن يجعله واحدًا من أخطر الأسلحة على وجه الأرض.

لذلك، يا صديقي، في هذه الأوقات الأخيرة فقط، تبارك معظمنا بامتلاك كلمة الله مكتوبة بلغتنا. لكن مرة أخرى، لا يمكننا أن نعيش الحياة المسيحية بدون الروح القدس. فما زالت كلمات يسوع صادقة حين يقول خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي. وقال بولس: "لَأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللَّهِ، فَأُولَئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ" (رومية ٨: ١٤). الإنسان المسيحي بدون الروح القدس يشبه طائرًا بلا أجنحة أو سفينة بدون بوصلة، لا يذهب إلى أي مكان. "وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَلِكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ" (يوحنا ١٦: ١٣). يا لها من موهبة، يا لها من عطية!

(يتبع.....)